أسلوب الاعتراض في ظلال القرآن لسيّد قطب
نماذج مختارة من آيات القصص القرآني

الأستـــاذ: عبد الرحمن جودي
قسم اللغة العربية وآدابها
جامعة الحاج لخضر – باتنة

ملخَّـــص:

نسعى في هذه الدراسة إلى عرض بُنية أسلوبية، هي "أسلوب الاعتراض" بُغية الكشف عن قدراته التّعبيرية باعتباره بنية تُستدعَى وتَكْسِرُ بنيةً نصيةً أخرى، فتكون بدائل دلالية تُساهم في عملية التّعليق والتّفسير إضافة إلى التخصيص، وجسّدت ذلك من خلال الرّجوع إلى تفسير "سيد قطب" لآيات القصص القرآني في كتابه الشّهير " في ظلال القرآن"، حيث يُشكّل الاعتراض ظاهرة بارزة ومتنوعة.

الكلمات المفاتيح: بناء، أسلوب، اعتراض، بنية نصية.

Résumé :

Nous aborderons dans cette étude une structure stylistique qui est l'incise dans l'objectif de montrer ses charges expressives. Cette notion est une structure qui attire et modifie une autre structure de manière à ce que celles-ci soient considérées comme des alternatives sémantiques contribuant aussi bien au commentaire et l'explication qu'à la personnalisation. Pour illustrer ce processus, nous avons eu recours aux travaux de « Sayyid Quotb » sur l'interprétation des versets des récits coraniques dans son fameux ouvrage « *Fîdilâl al-Qur'ân* »[1]où l'incise constitue un phénomène saillant et présente des exemples abondants.

Mots-clés: structure, style, reformulation, Structure du texte.

(1) - Trad. Litt. *A l'ombre du Coran.*

1- مهـــاد نظري:

الاعتراض في مظان اللّغة مصدر للفعل (اعترض)، الذي يفيد معنى السدّ والمنّع، قال ابن منظور (ت711هـــ): « عَرَضَ الشيءُ يَعْرِضُ واعترَضَ: انتَصَبَ ومَنَعَ وصار عرضًا كالخشَبةِ المنتصبةِ في النّهر والطّريق ونحوها تَمْنَعُ السّالكين سُلوكَها. ويقال: اعتَرَضَ الشيءُ دون الشيءِ أي حال دونه»[1]، ويقول في موضع آخر: « وأَما الذي في الحديث: لا جَلَبَ ولا جَنَبَ ولا اعتراضَ فهو أَن يَعْتَرِضَ رجل بفَرسِه في السِّباق فَيَدْخُلَ مع الخيل؛ ومنه حديث سُراقة: أَنّه عَرَضَ لرسول اللّه، صلّى اللّه عليه وسلّم، وأَبي بكر الفَرسَ؛ أَي اعْتَرَضَ به الطريقَ يَمْنَعُهما من المَسِير»[2]، وهو ما ذهب إليه أيضا الفيروزآبادي حين قال: « (ولا تَجْعَلُوا اللّهَ عُرْضَةً لإيمَانِكُم) [البقرة/224]: مانِعًا مُعْتَرِضًا، أي: بَيْنَكُم وبين ما يُقَرِّبُكُم إلى الله تعالى أنْ تَبَرُّوا وتَتَّقُوا. أو العُرْضَةُ: الاعتِراضُ في الخيرِ، والشَّرِّ، أي: لا تَعْتَرِضوا باليمينِ في كُلِّ ساعةٍ ألاّ تبرّوا ولا تَتَّقُوا. والاعْتِراضُ: المَنْعُ، والأصلُ فيه أن الطريقَ إذا اعْتَرَضَ فيه بِناءٌ أو غيرُه مَنَعَ السابِلَةَ من سُلوكِهِ.. »[3].

والاعتراض في الاصطلاح أسلوب من أساليب العرب وفنونهم في الكلام، يُمكّنُ المبدع من التّصرف بحريّة في توزيع عناصر التّركيب؛ فيأتي بعناصر تفصل بين طرفي التّركيب المتلازمين، إذ سار على ألسنة العرب الأقحاح في سليقتهم منذ القدم، يقول ابن فارس (ت395هـــ): « ومن سُنن العرب أنْ يعترِضَ بين الكلام وتمامِه كلام، ولا يكون هذا المعترضُ إلا مفيدًا. ومثال ذلك أنْ يقول القائل "اعملْ – واللّهُ ناصري- ما شئِت" إنّما أراد: أعمَل ما شئت. واعترض بين الكلامين ما اعترضَ »[4]، ويقول ابن جني(ت392هـــ): «والاعتراض في شعر العرب ومنثورها كثير وحسن،

ودال ّعلى فصاحة المتّكلم وقوّة نفْسه وامتداد نفَسِه..»[5]، ولا يقتصر على الشّعر فحسب، بل جاء كذلك في القرآن الكريم والنثر الفني، عندما يقتضي الأمر المبالغة في المعنى المقصودأو التأكيد[6].

نلاحظ أنّ المعنى الاصطلاحي للكلمة لم يبتعد كثيراً عن الأصل الحسيّ لها. فمن المعنى اللّغوي أُخذ المعنى الاصطلاحي الذي ذكره النّحاة في كتبهم، عندما تطرّقوا إلى ما يمكن أنْ يفصل بين عنصري الجملة المتلازمين[7]، إذ يدور معناه في هذا الاتّجاه؛ بأن يمنع الكلامُ المعترِضُ أركان التّركيب من أنْ يتصلّ بعضها ببعض وفق ما تقتضيه العلاقات التراكبية للوحدات في النّظام اللغوي.

أما التّفصيل في هذا المصطلح، فجاء في مباحث الجملة الاعتراضية التي أخذت تحتلّ شيئا فشيئا حيزا واسعا من كتب النّحاة الّذين درسوا الكلام المعترض، كما درسوا الجملة الاعتراضية ذاتها، في طيات مباحث العناصر المتلازمة، فيما يجوز الفصل بينه وما لا يجوز، إلى أنْ استقلت الجملة الاعتراضية بمباحث خاصة في كتب النّحو.

لقد اشترط جمهور النّحاة في الجملة المعترضة شـــروطا، منها:

– أن يكون بين الجملة المعترِضة والجملة المعترضَة مناســبة، كأن تكون تأكيدًا أو تنبيها على حالٍ من أحوالها، وقد ذكر ابن هشام(ت761هـــ) أنَّ الجملة « المعترِضة بين شيئين لإفادة الكلام تقوِيةً وتسديدًا أو تحسينًا...»[8]. وهي إشارة إلى ضرورة أن تتّصل بها في المعنى.

– أن لا تعمل الجملة المعترِضة في جزء من أجزاء الجملة الَّتي دخلها الاعـــتراض، وأن لا تكون معمولة لشـــيء منه؛ لأنَّ الاعتراض لا محل له من الإعراب، ولا يعمل فيه شـــيءٌ من الكلام المعترَض[9]، ولذلك نبّهوا إلى استقلالية الجملة الاعتراضيَّة، وأنّ حذفها لا يؤدِّي إلى اختلاف في التركيب

ولا في أصل المعنى. فإذا اشترط النّحاة أن تكون متعلقة بما اعترضته معنى، فإنّ هذا لا ينطبق على النّاحية التركيبية؛ إذ إنّها ليست تتمّة لأحد الجزأين، ولا ترتبط بعلاقة تركيبية بها « وذلك أنّ الاعتراض لا موضع له من الإعراب، ولا يعمل فيه شيئ من الكلام المعترَض به بين بعضه وبعض على ما تقدم..»[10] كما يقول ابن جني.

– أن يكون الاعتراض بين العناصر المنفصلة بذاتها، ولا يكون بين العناصر التي تتَّصل بما تدخل عليه[11] ؛ فتصير كالكلمة الواحدة، مثل ما هي عليه الحال في بعض حروف الجـــرِّ كالباء واللام، وســـين التسويف، و"ال" التعريف...

ولئن اتّفقت آراء جمهور النّحاة في جواز الاعتراض، فقد اختلفت عن آراء علماء البيان في بعض المسائل؛ كتعدده وأغراضه وشروطه...

فعلماء البيان نظروا للاعتراض من زاوية أنّه يعترض الكلام قبل تمامه من جهة، والفائدة المعنوية التي تكسبها الجملة من جهة ثانية، فهو عند أبي هلال العسكري (ت395هـــ) « اعتراض كلام في كلام لم يتم .. ثمّ يرجع إليه فيتمّه..»[12]، وعند الزّركشي (ت745هـــ) « وهو أنْ يُؤتى في أثناء كلام أو كلامين متّصلين معنى بشيء يتمّ الغرض الأصلي بدونه [من دونه]، ولا يفوت بفواته فيكون فاصلاً بين الكلام أو الكلامين لنكتة»[13].

إنّ ما اعترى التعريفين السّالفين من عموم يسمح بالاعتراض بغير الجملة؛ أي بالمفرد وهو ما ذهب إليه ابن الأثير في قوله: « الاعتراض، وبعضهم يسميه الحشو، وحدُّه كلّ كلام أدخل فيه لفظ مفرد أو مركب لو سقط لبقى الأول على حاله»[14]. ويرفضه النّحاة لأنّ المفرد يترتّب عليه الارتباط بالعوامل ومن ثمّ يكون له محل من الإعراب، في حين الجملة الاعتراضية لا محل لها من الإعراب، ولا تؤول بفرد. فالاعتراض – عند النّحاة – تمثّله

الجملة، ولا اعتبار عندهم بما دونها من الزّوائد الحرفية واللفظية[*] كونها لا تدخل ضمن أسلوب الاعتراض إلا من حيث مدلوله اللغوي فقط[15].

كما تجدر الإشارة إلى أنّ مفهوم الاعتراض عند البيانين أعمّ من مفهومه عند النّحاة، حيث إنّ علماء البيان يعدّون الواقع بين الكلامين المتّصلين معنى لا لفظاً جملة اعتراضية، أما النّحاة فلا يسمونها اعتراضية، حتى يكون بين ما قبلها وما بعدها اتصال لفظي، ومن هنا اتّجه النّحاة إلى الاهتمام بمواضع الجملة الاعتراضية، واتّجه علماء البيان إلى الاهتمام بدلالتها وأغراضها.

وقد أجمل الخطيب القزويني مواقف البيانين من الاعتراض[16] في كتابه "الإيضاح في علوم البلاغة" في موقفين اثنين[17]:

الموقف الأول: يمثله فريق لا يرى ضرورة في أن يفصل الاعتراض بين متلازمين في جملة واحدة، أو بين جملتين متصلتين معنى، حيث يقول: « فِرقة لا تشترط فيه أن يقع في آخر كلام لا يليه كلامٌ، أو يليه غيرُ مُتّصلٍ به معنًى...»[18]، ففي قولهم بجواز ورود الاعتراض في آخر الكلام خلاف صريح لآراء النحاة.

الموقف الثانـــي: يمثله فريق يرى ضرورة في أن يفصل الاعتراض بين متلازمين في جملة واحدة، أو بين جملتين متصلتين معنى، في قوله: « وفرقة تشترط فيه ذلك»[19]، فيوافقون النّحاة فيما سبق، وفي كونه لا محل له من الإعراب في جميع أحواله، لكنّهم يخالفونهم في كونهم لا يشترطون أن يكون جملة أو أكثر، ومنهم ابن الأثير في قوله السابق الذي يفهم منه جواز الاعتراض بالمفرد كما سبق القول.

إلى جانب ذلك قولهم بجواز تعدّد الاعتراض في الجملة الواحدة أو بين الكلامين المتّصلين، من ذلك قول الخطيب القزويني « ونحوُه في كونه أكثر

من جملة، قولُه تعالى: ﴿ قَالَتْ: ربيّ إنّي وضعتها أنثى، والله أعلم بما وضعت، وليس الذّكر كالأنثى، وإنّي سمّيتها مريم ﴾[آل عمران/36]، فإنّ قوله: ﴿ واللّهُ أعلمُ بمَا وضَعَتْ، ولَيْسَ الذّكَرُ كالأنثَى﴾ ليس من قول أُمِّ مريم»[20]. وقول الزركشي: « ومنها قصد التوكيد، كقوله: ﴿ فَلاَ أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجومِ، وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾[الواقعة/75-76]. وفيها اعتراضان: فإنّه اعترض بقوله: ﴿ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ ﴾ بين القسّم وجوابه، واعترض بقوله: ﴿ لَوْ تَعْلَمُونَ﴾ بين الصفة والموصوف...»[21].

ولذلك يعدّ مفهوم الاعتراض عند البلاغيين أعمّ من مفهومِهِ عند النُحاة؛ لأنّ البلاغيين يعدّون الجملة الواقعة بين الكلامين المتّصلين معنى لا لفظاً، جملةً معترضةً، أمّا النّحاةُ فلا يعدّونها اعتراضية حتّى يكون بين ما قبلها وما بعدها اتّصال لفظي، ولا يؤثر سقوط الجملة الاعتراضية الواقعة بين متلازمين في سياق الجملة نحوياً، وكذلك بقاؤها، فلا صلة لها بغيرها ولا محل لها من الإعراب.

ويبقى مصطلح الاعتراض من المصطلحات التي شهدت اضطرابا لدى البلاغيين، على عكس ما نجده عند النّحاة؛ فقد كان عندهم مستقرّا[22]، إذ ورد بتسميات تختلف باختلاف مذاهب العلماء: فهو عند بعضهم الالتفات[23]، وعند آخرين الاستدراك[24]، وهو التتميم[25]، والتمام[26]، والتكميل[27]، والحشو[28]. ذلك أنّ هذه الأبواب متداخلة، ودلالتها المعنوية متقاربة إلى درجة كبيرة. ونجد من البيانيين مَنْ استخدم التتميم بمعنى التكميل، والتذييل بمعنى التتميم، والتكميل بمعنى الاحتراس، وأدى هذا التداخل إلى توظيف الشاهد الواحد في أبواب متعدّدة ومختلفة.

إنّ البيانيين لا يخالفون النّحاة في الاعتراض في حدّ ذاته، وإنّما يخالفونهم في بعض التفاصيل التي يتجاوزون بها مفهوم الاعتراض إلى

المفاهيم الأخرى التي تشترك معه في الفائدة المعنوية أو تقترب منه، يقول الخطيب القزويني: « ومن النّاس من لا يُقَيِّد فائدةَ الاعتراض بما ذكرناه، بل يُجَوِّز أنْ تكون دفع توهُّم ما يخالف المقصودَ...»[29]. وأدى هذا إلى استخدام مصطلحات متعدّدة رديفة للاعتراض، ومن العلماء الأوائل من تفطّن إلى ذلك فذكر المصطلح ورديفة، كقول ابن الأثير « الاعتراض، وبعضهم يسميه الحشو..»[30]، وقول الخطيب القزويني: « فالاعتراض عند هؤلاء يشمل من التتميم ما كان واقعا في أحد الموقعين، ومن التكميل ما كان واقعا في أحدهما ولا محل له من الإعراب، جملة كان أو أقلّ من جملة أو أكثر»[31]، وقول ابن رشيق « إنّ (الالتفات) هو (الاعتراض) عند قوم، وسمّاه آخرون (الاستدراك)...»[32].

فالاعتراض هو تعبير طارئ خطر بذهن الكاتب، ورأى أهمية في إيراده قبل تمام الكلام الذي شرع فيه، وعادة ما يتّخذ أبنية مجموعة من الأساليب كالدعاء، والقسم، والنفي، والوعد، والأمر، والنهي، والتوكيد، والتنبيه إلى ما يريد أن يلفت إليه الانتباه. ويقع بين طرفين متلازمين ويمكن الاستغناء عنه.

ولا غرو أنْ ينال هذا البناء الأسلوبي العناية الكبيرة من لدن النّحاة وعلماء البيان لِما له من أثر في البناء اللغوي، وما يكتسبه من قيمة تعبيرية تمنح الكاتب فسحة في التّصرف في عناصر التركيب، وما يضفيه من دلالة تدعّم المعنى الأصلي؛ إمّا بالتّقوية أو التّسديد أو التّوضيح أو التّحسين... فكان جديرا بأن تتنازعه كتب النّحو، وأبواب البلاغة من علم المعاني، والمحسنات المعنوية، بل كتب علم النص التي نبّهت إلى الوظيفة الميتانصية للاعتراض على اعتبار أنّه العلاقة بين نص وآخر يتحدث عنه دون الاستشهاد به أو استحضاره، بل يمكن أنْ يصل الأمر إلى عدم ذكره [33]،

حيث يُستدعى النّص السّابق في النّص اللاحق بطريقة غير صريحة، هي أشبه ما تكون بالنّقد، فيرد في شكل تعليق أو شرح أو تكرار. ولهذا يُطلق عليه مصطلح إعادة صياغة **(La Reformulation)** الذي يعرفه "معجم تحليل الخطاب" بأنه: « علاقة بين ملفوظين، يكون أحدهما إعادة صياغة للآخر.. تستلزم ربطا دلاليا بينهما»[34]، فيُعاد التّعبير عن لفظ أو معنى ما، بلفظ أو استعمال آخر في اللغة ذاتها، أو ما يمكن أن يُسمى بالبدائل الدلالية التي تؤدي وظيفة الشرح والتعليق.

2- الجانب التطبيقـــي:

إنّ المتأمل في بناء أسلوب [سيد قطب] في تفسيره لآيات القصص القرآني من خلال "في ظلال القرآن" يجد أسلوب الاعتراض مظهرا من مظاهره، وهي ظاهرة أسلوبية في أبنية التراكيب، تتجلى أيضا في الإجراءات البنوية المتمثلة في الشرطتين (المطتين) اللّتين توشّيان صفحاته.

يكثر الاعتراض – عنده – في مواضع، ويقلّ في أخرى، فقد بلغ أكبر عدد من الاعتراض بين الجمل في تفسير قصص سورة الأعراف بـــ(217) مرّة، ثمّ في تفسير قصص سورة يوسف (133) مرّة، ويتفاوت عدده في السّور الأخرى؛ حتّى إنّنا لم نرصد في تفسيره لقصص بعض السّور إلاّ الاعتراض والاعتراضين، عدا الجمل الدّعائية، وقد يخلو بعضها تماما؛ كما هي الحال في تفسير قصص سورة النّحل.

يوظف [سيد قطب] الاعتراض بالجملة والجملتين، بل قد تتوالى الجمل الاعتراضية في الفقرة الواحدة وتساهم في تكثيف المعنى، وتزيد في التّأكيد والتّفسير، والتّذكير بالتفاصيل التّي يحرص على إيرادها ليضمن الإحاطة

بالفكرة من كلّ جوانبها، وألاّ يترك جانبا يمكن أن يتسرّب إليه الغموض أو الشّك إلى ذهن المتلقي.

وهناك مواضع يغيب فيها الاعتراض تماما، فيلتزم [سيد قطب] بتفسير الكلمة برديفتها، أو ترتيب عناصر التّركيب ترتيبا عاديا، ذلك أنّ من الأفكار ما لم يقتض المجادلة والمُحاجّة في عصره، وفي عصر النّبوة، فيقدّم الخبر ابتداء، كأنّ المتلقي خالي الذّهن، أو أنّ الفكرة ثابتة في الذّهن لا تقتضي منه تذكيرا ولا تحديدا ولا نكتة أخرى.

وقد يقْصُر الاعتراض –عنده– إلى حدّ المفردة الواحدة، كما يطول إلى حدّ السّطر والسّطرين وأكثر، لكن الصّبغة الغالبة فيه، هي الجملة المتوسطة الطول التي تفي بالغرض. وهذا التّنويع والتّلوين في الجمل دليل على القدرة اللغوية التّي يمتلكها.

إنّ الاعتراض عند سيد قطب لم يختلف من سورة إلى سورة، وفي الطول والقصر فحسب، بل اختلف كذلك في نوع الكلام المعترض وفي الموضع؛ فإذا كان جمهور النّحاة اشترطوا في الكلام المعترض أن يكون جملة، وفرّقوا بين الجملة المعترضة والحالية والاستئنافية والدعائية، فإنّا –هنا– سنجعل الاعتبار لما يعترض العناصر المتلازمة في سلسلة التّركيب اللغوي، والتّي تحدّد في المدونة المعتمدة بالشرطتين (المطتين) على مستوى الرسم.

*** مواضع الاعتراض في تفسير سيد قطب لآيات القصص القرآني:**

من ملامح بناء الأسلوب –عند سيد قطب– أنّه يعترض بين عناصر التركيب المتلازمة التي لا تستغني عن بعضها البعض؛ ليكون التركيب صحيحا والمعنى سديدا، كالاعتراض بين عناصر الجملة الاسمية من مبتدأ وخبر، والاعتراض بين عناصر الجملة الفعلية من فعل وفاعل ومفعول.

أولا. الاعتراض بين عناصر الجملة الاسمية:

أ- الاعتراض بالقوالب الجاهزة:

قد يتخذ الاعتراض في مواضع كثيرة شكل عبارات قصيرة، هي عادات لغوية، تأتي في طيات الكلام، وعادة ما اللغة البيانية، وتكثر في غالب الأحيان في اللّغة المتداولة والمنطوقة، لأجل الإحالة إلى مواضع سابقة أو التأكيد، أو لتحديد المكان أو الزمان، ونمثل لذلك بما يأتي:

- **غالبا:** « وأصحابُ الأيكة هم -غالبا- أهلُ مَدْيَن»[35]. قد اشترط النّحاة في الاعتراض بالكلمة الإفادة، وكلمة "غالبا" يعرب اسما منصوبا على نزع الخافض، ويقدّر "في الغالب"، وبذلك لا يرتبط معناها بالرتبة، وهي تدلّ على أنّ هناك اختلاف في تحديد هوية أصحاب الأيكة، والآراء الغالبة هي التي ترجح أنْ يكونوا أهل مدين.

- **فـــي هذا الموضع:** « هذا طرف من إيحاءات قصة آدم - في هذا الموضع- نكتفي به في ظلال القرآن»[36]. فقصة آدم -عليه السّلام- تكرّرت في القرآن الكريم في سياقات مختلفة، لتحقيق عِبر تتماشى مع تلك السّياقات، لذلك الجملة الاعتراضية تحدّد أنّ إيحاء قصّة آدم خاص بورودها في هذا الموضع، وربّما ستختلف إيحاءاتها في المواضع الأخرى.

- **في فترة الرسالة:** « فالتعديل الجزئي وفق مقتضيات الأحوال - في فترة الرسالة- هو لصالح البشرية، ولتحقيق خير أكبر تقتضيه أطوار حياتها»[37]. والاعتراض هنا لتحديد زمن السّياق.

- **كما أسلفنا:** « والظلم - كما أسلفنا- يطلق في التعبير القرآني ويراد به الشرك أو الكفر»[38]. أدى الاعتراض وظيفة إحالية؛ إذ يتضمن إشارة إلى سياقات سابقة فصّل فيها دلالة الظلم في نص القرآن. وكذلك في قوله:

- **كما قلنا من قبل:** « هي - كما قلنا من قبل- التوافق بين طبيعة الكون ونشأة الكائن الإنساني»[39]. فيه إحالة على ما سبق من القول في غير هذا الموضع، وهو تبرير في الوقت نفسه لإجماله القول، وعدم التفصيل.

- **مع ذلك:** « والمنهج القرآني - مع ذلك- إنما يعالج أطوار النفوس والقلوب المتقلبة»[40]. للإشارة إلى أنّ ما ذكره آنفا من تخويف الله للعباد، لم يكن لأجل أن يعيش الإنسان قلقا، ويعطّل حياته، بل لأجل أن يكون يقظا، وليحترس من الطغيان والاستهتار.

- **بزعمهم:** « وإذن فهو - بزعمهم- الإفساد في الأرض»[41]. أفاد الاعتراض أنّ هذا الحكم منسوب لمستشاري فرعون الذين يرون دعوة موسى إفسادًا في الأرض، لأنّها تؤدي حسب تقديرهم إلى زوال حكم فرعون الذي يحكم بغير ما يدعو إليه موسى، وهذا حتى لا يدخل المتلقي شكّ أنّه من كلام الكاتب.

- **كما هو ظاهـــر:** « وهذه - كما هو ظاهر- مواجهة عملية واقعية لحالات عملية واقعية في العلاقات بين المعسكرات المتجاورة»[42]. وهنا إشارة إلى الآية(61) من سورة الأنفال:﴿ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ التي تنصّ صراحة على إمكان إقامة عهود تعايش بين المسلمين والمعسكرات المناوئة.

- **على وجه الإجمال:** « هذه -على وجه الإجمال- هي المبادئ والقواعد التي يتضمنها هذا الدرس»[43]. تنبيه إلى أنّه أورد القول مجملاً.

- **من هذا الجـــانب:** « والمسألة - من هذا الجانب - مسألة واقع منظور - إلى جانب لطف الله المستور- واقع له علله وأسبابه الظاهرة، إلى جانب قدر الله الغيبي الموعود»[44]. أفادت العبارة المعترِضة أنّ للمأساة زوايا كثيرة، وما هذه إلا من زاويا متعددة.

– **بعد ذلك كله:** « فالذي يهدد أمنه –بعد ذلك كله– هو عنصر خبيث يجب استئصاله، ما لم يثب إلى الرشد والصّواب»[45]. تذكّر العبارة "بعد ذلك كله" أنّ الحكم بالقتل لم يأت سدى، بل جاء بعد أنْ أرسل الله الرّسل، ولم يرتدع بوسائل الوقاية، فيكون إزهاق روحه وقاية للنّاس من شروره.

ب– الاعتــراض بشبه الجملة:

الاعتراض بشبه الجملة، ممّا أجازه النّحاة، كون هذا البناء التركيبي لا يتقيّد كثيرا بالرّتبة، ولا يؤثر في عمل طرفي الجملة ولا يتأثّر به، وهو ممّا يكثر في الكلام المنطوق على الخصوص. وقد اتّسمت شبه الجملة المعترضة – في الغالب – بأنّها متوسطة الطول، ونذكر منه النماذج التالية:

– « والذين يطلقون ألسنتهم وأقلامهم وأجهزة التوجيه والإعلام كلّها لتأصيل هذه المحاولة – في شتى الصور والأساليب الشيطانية الخبيثة– هم الذين يريدون سلب "الإنسان" خصائص فطرته»[46]. فحدّد موقفه من هذا السلوك من خلال وسْمه بـــ "الأساليب الشيطانية الخبيثة" قبل أن يذكر الرّكن الثاني من الجملة.

– « هذه الخاصية –كما يلهم النّص القرآني– لم تجيء للإنسان بعد مراحل أو أطوار من نشأته»[47]. يحدّد الاعتراض –هنا– مصدر المعرفة، وهو أنّ خاصية الروح الإلهي المودعة في الإنسان فكرة مستلهمة من القرآن، وليست مجرّد اجتهاد من الكاتب ولا شطحة فكرية، ومن ثم يتقبّلها المتلقي، ويستسلم عقله لما مصدره القرآن الكريم، وخاصة المتلقي المسلم.

ومن القبيل نفسه نجد قوله: « والحالة التي كان قوم نوح قد انتهوا إليها، من إعراض واستكبار وعناد وضلال– كما تبرز من خلال الحساب الذي قدمه نوح في النهاية لربّه– تجعل الإنذار هو أنسب ما تلخص به رسالته»[48]،

يشير الاعتراض إلى المصدر الذي استقى منه المعلومة، وهو ما جاء على لسان نوح –عليه السلام– في سورة نوح: ﴿ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا﴾ (نوح/07)، وهذا يستوجب الإنذار.

ج– الاعتراض بشبه الجملة الظرفية:

ورد الاعتراض بين المبتدأ والخبر بشبه الجملة الظرفية في مواضع مختلفة، نذكر منها:

– « فالإيمان بالآخرة –فوق أنّه إيمان بعدل الله المطلق، وجزائه الأوفى– هو ذاته دلالة على فيض النّفس بالحيوية، وعلى امتلاء بالحياة لا يقف عند حدود الأرض»[49]. أراد بهذا الاعتراض أنْ يذكّر بمنزلة الإيمان بالآخرة عقديا؛ فهو يرتبط بالإقرار بأنّ الله عدل، والآخرة هي دار الجزاء التي يكافأ كلّ حسب ما عمل، قبل أنْ يحيل إلى ما تتمظهر به حياة المؤمن الذي يجتهد لينال الجزاء الحسن يوم الآخرة.

– « والذي يراجع التاريخ بعد ذلك – منذ اليوم الذي استعلن فيه الإسلام بالمدينة، وقامت له دولة– إلى اللحظة الحاضرة »[50]. لأنّ التاريخ كلمة وعامة، تدخل في حيزها حقب زمنية مترامية الأطراف، قام الاعتراض بدور المحدّد للمعنى المقصود منه؛ وهو التاريخ الإسلامي.

د– الاعتراض بالجملة الحالية:

وورد الاعتراض بين المبتدأ والخبر بالجملة الحالية، لضرورة يراها الكاتب، وهي تسليط الضوء على المبتدأ ووصف هيئته لتكون المعنى أكثر جلاء عند ذكر الخبر، ومن أمثلة ذلك:

- « ليتّجه إلى ربّه في تسبيح الشاكر الذاكر! كلّ دعوته - وهو في أبّهة السلطان، وفي فرحة تحقيق الأحلام- أن يتوفاه ربّه مسلما وأن يلحقه بالصالحين »[51]. ينبّه الاعتراض هنا إلى أنّ يوسف (عليه السلام) بعد أن اعتلى العرش لم تنقطع صلّته بالله ولم تتغير أمانيه إلى دوام الجاه والسلطان، ولم يغتر بالمنصب، بل كانت أمنيته أن يموت مسلما وأن يلحق بالصالحين.

وقولـــه: « فأما الملائكة - وهم الذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون- فقد سجدوا مطيعين منفذين لأمر الله »[52].

وقولـــه: « والخنفساء - وهي قليلة الحيلة- مزودة بمادة كاوية ذات رائحة كريهة»[53]. بيّنت الجملة المعترِضة حالة المبتدأ (الخنفساء) قبل أنْ يُخبر عنها، حتى يثبت فكرته، وهي أن كلّ مخلوق مزوّد بحيلة ما، حتى وإنْ كنّا نراه ضعيفا بلا حيلة.

وقولـــه: « فامرأته -وهي ألصق النّاس به- لم تنج من الهلاك»[54]. ليثبت الكاتب فكرته أنّ المفاصلة كانت بين الإيمان والكفر دون غيرهما، أشار إلى أن امرأة لوط أصابها الهلاك على الرغم من صلتها بنبي الله لوط (عليه السلام)، وأن الرّجل في العادة يسعى لحماية أهله، ولكن الأمر -هنا- يتعلّق بالإيمان، فصار المؤمن أقرب من نبي الله، وتدحرج كلّ الصلات الأخرى.

ه- الاعتـــراض بالجملة التفسيرية:

ومن قبيل الاعتراض بين المبتدأ والخبر بالجملة التفسيرية، نذكر ما يأتـــي:

- « وحكمة إرسال الرسول في أم القرى -أي كبراها أو عاصمتها- أن تكون مركزا تبلغ منه الرسالة إلى الأطراف فلا تبقى حجة ولا عذر فيها

لأحد»[55]. قبل أن يبرز الحكمة من جعل مكة مركزا للدّعوة، يرى من الضرورة توضيح هذه الكنية "أمّ القرى" التي تُكنّى بها مكة؛ وبهذا الشّرح اللغوي يذهب العجب، ويلوح جانب من هذه الحكمة للعقول الرشيدة قبل أنْ يذكرها رأسا وبصريح العبارة.

ومنه قوله: « والذين يظنون أنّهم مسلمون بينما هم خاضعون لشريعة من صنع البشر –أي لربوبية غير ربوبية الله– واهمون إذا ظنوا لحظة واحدة أنهم مسلمون!»[56]. وضّح بالجملة الاعتراضية معنى الخضوع لتشريع البشر بأنه خضوع لربوبية البشر، ومن ثمّ يكون الخبر "واهمون..." تحصيل حاصل[57].

وقوله: « والذي ينهض بالدعوة إلى الله في المجتمعات الجاهلية – والمجتمعات الجاهلية هي التي تدين لغير الله بالطاعة والاتباع في أي زمان أو مكان– يجب أن يوطن نفسه على أنّه لا يقوم برحلة مريحة»[58]. الجملة المعترضة تفسّر مقصوده بـــ"المجتمعات الجاهلية"؛ حتّى لا يُفهم منها المجتمعات التي عاشت فترة ما قبل الإسلام، بل إنّه مصطلح جديد يطلقه سيد قطب على المجتمعات التي تتّخذ التشريعات الوضعية حكما في حياتها، وهي بذلك تعبد من حكّمت ولا تعبد الله.

وقوله: « والسؤال عن الماهية في هذا المقام – وإن كان المقصود الصفة – إنكار واستهزاء »[59]. توضّح القصد بالماهية؛ بأنها أطلقت وأريد بها الصّفة لأنّ البقرة سبق وأنْ ذكرها لهم.

و– الاعتـــراض بالبدل:

ومن الاعتراض بين المبتدأ والخبر ما جاء على سبيل البدل لتجلية المعنى المذكور آنفا أو على سبيل الاستدراك لإزالة اللبس عنه، أو الاستثناء لتقييد المعنى ومن أمثلته قولـــه:

« هذه السورة –سورة الإسراء– مكية »[60]. اعترض بين المبتدأ والخبر بـــ "سورة الإسراء" لإزالة أيّ لبس يمكن أن يتسرّب إلى الأذهان على الرغم من أنّ العنوان محدّد آنفا، ويدخل في الإعتراض غير المفيد، الذي أشار إليه علماء البيان؛ أي أنّه لا يكسب الكلام حسْناً ولا قبحاً.

وقوله: « وهذه الحقيقة – حقيقة الارتباط في قلب المؤمن بين شعوره بهداية الله وبين بديهية التوكل عليه– لا تستشعرها إلا القلوب التي تُزاول الحركة فعلا في مواجهة طاغوت الجاهلية»[61]. رأى "سيد" أنّ الأمر يحتاج إلى توضيح الحقيقة المقصودة، قبل أنْ يقصرها على قلوب المؤمنين العاملين؛ ذلك أنّ الأفكار ينسي بعضها بعضا وتكون الحاجة ماسة للتذكير والأخذ بيد المتلقي لبلوغ المرتجى من الخطاب.

وقوله: « وهذه قصة شعيب – ومكانها التاريخي قبل قصة موسى– تجيء هنا في مساق العبرة كبقية القصص في هذه السورة »[62]. فالاعتراض بين المبتدأ والخبر ذو وظيفة زمنية، يهدف إلى تحديد البعد الزمني لقصّة شعيب بين مثيلاتها من قصص الأنبياء.

وقوله: « وكلّ قوةّ –غير قوة الله– هزيلة، وكلّ سلطان – غير سلطان الله– لا يخاف؟!»[63]. على الرغم من أنّ ما تضمنه الاعتراض يفهم ضمنا إلاّ أنّ الكاتب أراد أن يستثني "قوّة الله وسلطانه" من أحكامه لينأى بنفسه عن كلّ شبهة.

وقوله: « فالقصص القرآني – غير قصة يوسف– يرد حلقات»[64]. يصدق هذا الحكم على القصص القرآني غير قصّة يوسف التي استقلّت بسورة ووردت أحداثها كاملة فيها، وتشكّل الاستثناء في الشّكل والمضمون.

ثانيا. الاعتراض بين عناصر الجملة الفعلية:

كثيرا ما يعترض الكاتب بين عناصر الجملة الفعلية المتلازمة، بتراكيب متنوعة ومختلفة، ومن مواضعه نذكر ما يلي:

أ- الاعتـــراض بين الفعل والفاعل: ما قيل عن الاعتراض بين عناصر الجملة الاسمية (المبتدأ والخبر)، ينطبق على عناصر الجملة الفعلية، ولاحظنا أنّ "سيدًا" يعترض بين العناصر المتلازمة للجملة الفعلية(الفعل والفاعل) في مثل قوله:

« وهذا الشعور وذاك ضروريان للوقوف في وجه حملة البلبلة والتشكيك التي قادها – ويقودها – اليهودُ، لتوهين العقيدة في نفوس المؤمنين»[65]، اعترضت الجملة الفعلية بناء جملة فعلية أخرى، والفعل في الجملة المعترضِة مضارع خلافا له في الجملة المعترضَة، استدراكا من الكاتب أنّ هذا الحدث مازال مستمرّا ولم ينته، وهذا لا يفهم من بناء الجملة بلا اعتراض.

وقوله: « وأنّه من ثم لا تنضم إليها – في أول الأمر– الجماهير المستضعفة»[66]. فالجماهير المستضعفة لا تنضم في أول الأمر، وبغير الاعتراض يفهم أنها لا تنضم نهائيا. فالاعتراض بين الفعل وفاعله بشبه الجملة "في أول الأمر" أحدث فارقا في المعنى، وبغيره يكون النّقص واللبس.

ومن القبيل نفسه نجد هذا التركيب:

– « هؤلاء الكاتبون الباحثون عن حلّ لتطبيق قواعد النّظام وتشكيلاته وأحكامه الفقهية يحيّرهم – أول ما يحيرهم– طريقة اختيار أهل الحلّ والعقد»[67]، فطريقة اختيار أهل الحلّ والعقد ليست هي الوحيدة التي تحيّر الكتاب الباحثين، لكنها ترتّب الأولى بين الأمور المحيّرة حسب ما يشير إليه الاعتراض.

ب- الاعتراض بين الفعل ومفعوله:

كما اعترض بين الفعل وفاعله، يعترض بين الفعل ومفعوله، مثل قوله: « ثم يملك – حسب نظريته هو وهي محل نظر طويل- توجيه الخلية الأولى في طريقها الذي افترض هو أنّها سارت فيه صعدا، دون أي طريق آخر غير الذي كان! إنه الهروب والمراء والمحال!!!»[68]. اعترض – هنا- بجملتين: الأولى "حسب نظريته هو" أراد الكاتب أن يتأكد من أنّ المتلقي لا ينسب هذا الكلام إليه، والثانية "وهي محل نظر طويل" ينبّه بها إلى موقفه مّما نقله، من أنّه محلّ نظر، ولا يقبل كما جاء. وهو من الاعتراض بأكثر من جملة الذي أجازه النّحاة – كما سبق القول-.

ومن أمثلته أيضا قوله: « وهذا المجتمع الجاهلي الحاضر يعتبر – بالقياس إلى طبيعة النظام الإسلامي وأحكامه الفقهية- فراغا لا يمكن أن يقوم فيه هذا النظام»[69]. في سياق انتقاده للمجتمعات الإسلامية يعتبر المجتمع الحالي فراغا، لا يشكل أرضية داعمة لقيام النّظام الإسلامي الذي يفترض توفر شروط لقيامه، وأن الأحكام الفقهية لتكون صحيحة لابد لها من ظروف مناسبة، وهذا ما يدلّنا عليه الاعتراض " بالقياس إلى طبيعة النظام الإسلامي وأحكامه الفقهية".

وقوله: « وأن يقولوا للناس – وللذين يستفتونهم بوجه خاص- تعالوا أنتم أولا إلى الإسلام...»[70]. أفاد الاعتراض تخصيص المعنى الذي جاء عاما، فذكر الناس عامة بدءًا ثمّ خصّ الذين يستفتونهم، فأدى الاعتراض وظيفة بدل البعض من الكل.

وقوله: « وهو يقول لربّه: (ربّ أرني كيف تحيي الموتى)، فيسأله ربّه – وربّه يعلم -: (أولم تؤمن؟)، فيقول – وربّه يعلم حقيقة ما يشعر وما يقول:- (بلى! ولكن ليطمئن قلبي)...»[71]. أسلوب بديع زاوج فيه الكاتب

بين بناءين لأسلوبين متميزين: الاقتباس والاعتراض، فلمّا كانت الآيات بسيطة يفهمها عامة النّاس، لم تتطلب الحاجة لتبسيطها، فوظفها في طيات كلامه باقتباس تراكيب منها، أمّا الاعتراض فقد تعدّد ليدلّ على إيمان الكاتب – ككل المسلمين– بأنّ الله يعلم الغيب وما تخفي الصّدور.

وهناك أمثلة كثيرة للجملة الفعلية التي يضمر فيها الفاعل ويدخل الاعتراض بين الفعل ومفعوله في شكل تعليقات سريعة من لدن الكاتب.

ج– الاعتـــراض بين الفاعل والمفعول:

وكما أجاز النّظام اللغوي الاعتراض بين الفعل والفاعل، وهما أكثر تلازما في البناء اللغوي من غيرهما؛ لأنّ كلّ مسند هو بحاجة إلى مسند إليه ليتمّمه، فإنّه يجيز أيضا الاعتراض بين العناصر الأخرى، ومن أمثلة الاعتراض بين الفاعل والمفعول، نذكر:

–« فاتّخذها القرآن – في مواجهة كبار أهل الكتاب وقتها– دليلا على وحي من الله لرسوله الصادق»[72]. اعترضت شبه الجملة بين الفاعل والمفعول به الثاني، لتحديد السّياق قبل تمام الكلام، أما المفعول به الأول فقد تقدّم على الفاعل، ممّا أدى إلى تداخل في عناصر التركيب دون الاخلال بالمعنى.

ومن ذلك قوله: « وقد شاء الله – بعد نشأة آدم نشأة ذاتية مباشرة– أن يجعل لإعادة النشأة الإنسانية طريقا معينا»[73]. اعترضت شبه الجملة الظرفين بين الفاعل والمفعول به (المصدر المؤول) لتحديد الزمن.

وقوله: « ونسي آدم وزوجه – تحت تأثير الشهوة الدافعة والقسم المخدر– أنّه عدوّهما الذي لا يمكن أن يدلهما على خير!»[74]. شبه الجملة المعترِضة تحدّد حال آدم وحواء – عليهما السلام – وهما في غمرة النّسيان، فلحظة من السّهو بسبب ما يشتهيانه – وهي طبيعة البشر أولهم وآخرهم –

أنساهما أن ما يقبلان عليه نهاهما الله عنه، وأنّ النّاصح لهما عدوّ لا يتوقّع منه الخير. فالاعتراض هنا يشير إلى الظروف المخفّفة لما فعلاه، على أنّها تدخل في تركيبة الإنسان وما فيها من نقاط ضعف هي محل اختبار الله له.

د- الاعتـــراض بين المفعولين:

ومن الأمثلة القليلة التي يعترض فيها الكاتب بين المفعولين في جمل الأفعال المتعدية إلى مفعولين نذكر:

- « أن الله جعل هذا الكون - لا الأرض وحدها - عوناً له في هذه الخلافة»[75]. اعترض بين مفعولي "جعل" المفردين، ليفيد التّنبيه لمن علق في ذهنه أنّ الأرض هي الكون، أو لمن يتصوّر أنّ الله سخّر له ما هو قريب منه فقط.

وقوله: « سرّ القدرة على تسمية الأشخاص والأشياء بأسماء يجعلها - وهي ألفاظ منطوقة - رموزا لتلك الأشخاص والأشياء المحسوسة»[76]. الاعتراض - هنـــا - بين المفعول الأول لـــ"جعل" الضمير المتصل "ها" والمفعول الثاني الاسم الظاهر "رموزا" لتنبيه من لم ينتبه إلى ما ذكره سابقا بأنّها أسماء، والأسماء تكون منطوقة، وبهذا يظهر موطن المعجزة؛ بجعل ما هو ملفوظ رمزا لما هو مجسم.

ومنه أيضا: « إنّما وجه نوح قومه إلى السّماء وأخبرهم - كما علّمه الله- أنّها سبع طباق»[77]. اعتراض بين المفعول الأول الضمير المتصل "هم" والمفعول الثاني المكوّن من "أنّ" النّاسخة واسمها وخبرها " أنّها سبع طباق"، لتفيد أنّه ناقل لعلم الله، لا مدّعيا لعلم له، وهو شأن الأنبياء والرسل جميعا.

ه- الاعتراض بين الشرط وجوابه:

ومن الاعتراض بين الشرط وجوابه، نذكر:

– « فإذا نسخ آية ألقاها في عالم النسيان – سواء [أ] كانت آية مقروءة تشتمل حكما من الأحكام، أو [أم][78] آية بمعنى علامة وخارقة تجيء لمناسبة حاضرة وتطوى كالمعجزات المادية التي جاء بها الرسل– فإنّه يأتي بخير منها أو مثلها! ولا يعجزه شيء»[79]. جاءت الجملة المعترضة بين تركيبي: فعل الشرط المصدر بـــ "إذا" وجوابه المقرون بالفاء طويلة لتوضّح المقصود بالآية المنسوخة؛ أهي الآية القرآنية المقروءة؟ أم الآية بمعنى العلامة والمعجزة الدّاعمة لنبيّ من الأنبياء ثمّ تنسى مع زوال الحاجة إليها.

ومنه قوله: « لو كان الأمر كذلك – كما يقول بعض المفسرين إن عظامه هي التي تعرت من اللحم– للفت هذا نظره عندما استيقظ، ووخز حسّه كذلك»[80]. الاعتراض بين تركيبي فعل الشرط المصدر بـــ" لو"، وجوابه المقرون باللام، يوضّح فعل الشرط الذي اتّسم بالعموم، ويحيل على ما قبله، والكاتب بصدّد الحجاج والإقناع ويحتاج إلى حضور الفكرة في ذهن المتلقي. وهو بذلك ينفي تعرّي عظام النائم.

وقوله: « .. كادوا يتركون آلهتم وعبادتهم – على شدّة حرصهم على استبقاء ديانتهم وما وراءها من مراكز ومغانم– لولا أنّهم قاوموا تأثّرهم به وصبروا على آلهتهم !»[81]. فصّل الاعتراض فيما يربط المعنى الذي ذكر في جملة جواب الشرط المتقدّمة بجملة فعل الشرط المتأخرة. أراد الكاتب أن يدعّم الفكرة؛ فعلى الرّغم من تمسكهم الشّديد بديانتهم إلاّ أنّهم أوشكوا على تركها لشدّة التأثير، ولكنهم لم يتركوها في النّهاية.

وقوله: « ولما كانوا يعلمون كيف يضن أبوهم بأخيهم الأصغر – وبخاصة بعد ذهاب يوسف– فقد أظهروا أن الأمر ليس ميسورا »[82]. يحدّد الاعتراض ملابسات السّياق في الرّبط بين جملة فعل الشرط المصدرة بـــ "لمّا" الشرطية وجوابها، فقد كانت لهم سابقة حين استأمنهم أبوهم (يعقوب

عليه السلام) على أخيهم يوسف، ولم يلتزموا بما وعدوا به، فمن الصّعوبة أن يقنعوه – بعد ذلك– بأن يأمنهم على أخيهم الأصغر، مهما كانت الأسباب والتبريرات، حتى وإنْ كانت النتيجة زيادة كيل بعير.

وقوله: «.. ما إن يروا هذا التدبير –وهم لا يعلمون ما وراءه– حتى ينفجر حقدهم القديم على يوسف»[83]. اعترضت الجملة الحالية بين جملة فعل الشرط المصدرة بـــ"إنْ" وجوابها، لتبيّن جهل إخوة يوسف ما يخبئ له القدر.

9- الاعتراض بين الحال وصاحبها:

وقد تقع الجملة الاعتراضية في تركيب تفصل فيه بين الحال وصاحبها، نحو قوله:

– « تُصوّر الوجود الكوني –بل الوجود الجماعي للبشرية ذاتها– معاكساً في طبيعته للوجود الفردي الإنساني»[84]. جاء الاعتراض بين الحال وصاحبها في شكل بدل من صاحب الحال ليزيد معناه دقّة، ولتزداد الفكرة غرابة مع ذكر لفظ الحال. فالمدرسة الوجودية تصوّر للإنسان الكون كلّه شرّا، وهذا يتنافي وتصوُّر المسلم الذي يعتقد أنّ الكون وما فيه مسخّر لخدمة الإنسان لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾ (الإسراء/70)، ناهيك عن حرصه الشّديد على حسن العلاقة بمن يحيط به من البشر: برّ الوالدين وحسن الجوار، واحترام الكبير...

وقوله: « كان الله –سبحانه – يقص على نبيه الكريم قصة أخ له كريم – يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم– عليهم صلوات الله وسلامه أجمعين– وهو يعاني صنوفا من المحن والابتلاءات»[85]. اعترض بين الحال وصاحبها بأكثر من جملة، فاعترض بالبدل عن الأخ الكريم الذي يتمثّل في

يوسف – عليه السلام– وتلته الجملة الدعائية لأنبياء الله، وتوظيف الاعتراض –هنا– أقلّ توفيقا في غيره من المواضع، ساهم في إطالة الجملة، بل ألبسها شيئا من الغموض، فيشكل علينا تحديد صاحب الحال في " وهو يعاني" دون زيادة تذكر في المعنى. أمحمد أم يوسف؟ لولا أنّ المعاناة مشتركة بينهما، وأن إثباتها ليوسف (عليه السلام) هو تثبيت لقلب محمد (صلى الله عليه وسلّم).

وقوله: « وهكذا يبدو هذا القول – بهذا التأكيد المنبىء عن الإصرار– نابيا مثيرا للاستنكار لأنّه ينبعث من غير موجب»[86]. أراد أن يذكر شيئا من مواصفات هذا القول، ليضع المتلقي في الصورة، ويهيّئه لتقبّل ما سيصدر– بعد ذلك من أحكام قاسية.

وقوله: « ويقف الرسول –رسولهم عليه السلام– مرتقبا ما سيقع، مؤتمرا بأمر ربه في الاصطبار عليهم حتى تقع الفتنة ويتم الامتحان.. »[87]. أما هنا فجاء الاعتراض مزدوجا بين الحال وصاحبها، حيث أعيد صاحب الحال المعرف بـــ"ال" مضافا إلى الضمير المتصل "هم"، حتى لا يُفهم منه خاتم الأنبياء والمرسلين، وأتبعه بالجملة الدعائية "عليه السلام" قبل أن يذكر الحال المتعددة بدورها.

10– الاعتراض بين البدل والمبدل منه:

ويأتي الاعتراض بين البدل والمبدل منه في عبارة قصيرة تتضمن تعليق الكاتب على المضمون الذي يسوقه، مثل قوله:

– « ثم تنتهي إلى المباغتة في الخاتمة – كما بوغت بها بنو إسرائيل– انتفاض الميت مبعوثا ناطقا، على ضربة من بعض جسد لبقرة بكماء مذبوحة، ليس فيها من حياة ولا مادة حياة! »[88]. فالعبارة " انتفاض الميت مبعوثا ناطقا" أبدلت من "المباغتة في الخاتمة"، لتدل على أن هذه المباغتة إذا

كانت مثيرة لمن يقرأ القصة، فهي أكثر إثارة لمن عايش أحداث القصة في زمانها.

وقولـــه: « أفأمن أهل القرى –وتلك سنة الله في الابتلاء بالضراء والسراء، والبأساء والنعماء، وتلك مصارع المكذبين السادرين، الذين كانوا قبلهم يعمرون هذه القرى ثم تركوها فخلفوهم فيها– أفأمنوا أن يأتيهم بأس الله في غفلة من غفلاتهم»[89]. أبدلت العبارة "أفأمنوا أن يأتيهم بأس الله..." من العبارة "أفأمن أهل القرى" لمّا فصل بينهما باعتراض طويل يذكر بسنة الله في خلقه، ومن شأن ذلك أن ينسي الملتقي ما سبق من الكلام، فأعاد الفعل مع همزة الاستفهام، وأضمر الفاعل تجنبا لثقل التكرار، بيّنت مصير هؤلاء القوم وهو الهلاك.

11– الاعتراض بين المستثنى والمستثنى منه:

إذا كان الاعتراض فصلاً بين المتلازمات، فإنّ سيد قطب لم يستثن أسلوب الاستثناء على الرغم من الارتباط بين المستثنى والمستثنى منه في أداء المعنى، ومن أمثلته قوله:

– « والقلب الذي ذاق هذا المذاق لا تبلغ الشدائد منه – مهما بلغت– إلا أن يتعمّق اللمس والمشاهدة والمذاق! ولا نملك أن نزيد »[90]. اعترض بالعبارة "مهما بلغت" السّياق قبل أن يذكر "إلاّ" وما تأتي به من تحديد للمعنى.

وقوله: « فلا تتم العبرة بها – كما لا يتم التنسيق الفني فيها– إلاّ بأن يتابع السّياق خطوات القصة ومراحلها حتى نهايتها»[91]. أراد أن يذكر بأنّ تمام العبرة في القصة هو مرتبط بمتابعة مراحل القصة كلّها، وكذلك التنسيق الفني في القصة لا يتم ولا يحكم عليه إلا من خلال عرض الأحداث مجتمعة من أولها غلا آخرها، فجاء الاعتراض لتدعيم الفكرة السابقة وتأكيدها.

وقوله: « وما يمكن أن يمضي المؤمنون في طريق الدعوة إلى رب العالمين – على ما ينتظرهم فيها من التعذيب والتنكيل– إلا بمثل هذا اليقين بشقيه»[92]. طريق الدعوة إلى الله ليست ذلولا، وقبل أن يذكر السلاح الوحيد الذي يتسلحون به، ذكر بعضا ممّا يتعرّض له الدّعاة.

وقوله: « وأمام ذلك التحجر لم يجد إبراهيم – على حلمه وأناته– إلا أن يهزهم بعنف، ويعلن عداوته للأصنام»[93]. تفيد العبارة "على حلمه وأناته" أنّ نبي الله إبراهيم –عليه السلام– لم يتسرع في الجهر بمعاداة أصنامهم، ولكن لم يكن بين يديه من حلّة أخرى لما كان عليه قومه من فكر متصلّب وعناد، وأنّ عامل الوقت –هنا– لا يغيّر في الأمر شيئا، فالعبارة تدلّ على تعاطف الكاتب مع نبي الله، ومع الدّعاة إلى الله من أمثالثه، ومهاجمة للمجتمع في إعراضه عن الدعوة.

12– الاعتراض بين المنعوت والنعت:

اعترضت الجملة الفعلية بين المنعوت ونعته، في قوله:

– « ولقد ينظر بعض الناس فيرى أمماً – يقولون: إنهم مسلمون– مضيقاً عليهم في الرزق...»[94]. فالجملة الاعتراضية فصلت بين المنعوت (أممًا) والنّعت (مضيقا عليهم) لضرورة التّذكير بأنّ المضيَّق عليهم في الرِّزق يقولون إنّهم مسلمون، والله يقول: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾(الأعراف/96).

كما اعترضت بينهما الجملة الاسمية، في قوله:

– « وأن يجاهر بعدائه لآلهتهم وعقيدتهم، هم وآباؤهم – وهم آباؤه– الأقدمون!»[95]. فَصَل بين "آباؤهم" المنعوت و"الأقدمون" النعت؛ بغية التّذكير

أنّه ليست له عداوة شخصية معهم؛ فآباؤهم هم آباؤه، ولكن العداوة هي للبعد عن الحقّ.

13-الاعتراض بين المتعاطفين:

وهناك اعتراض بين المتعاطفين المتشاركين في الحكم الواحد، سواء أكان المتعاطفان مفردين أم جملتين، ومن أمثلة النوع الأول نذكر:

- « وفي هذا الافتتاح يقرر اختلاف الطبيعتين بين الصلصال - وهو الطين اليابس الذي يصلصل عند نقره، المتخذ من الطين الرطب الآسن- والنّار الموسومة بأنها شعواء سامة .. نار السموم.. »[96]. فصل بين الاسمين المتعاطفين لتحديد ماهية الاسم الأول حتى تتحدّد طبيعة كلّ طرف في ذهن المتلقي وهو المراد.

وقوله: « إنها انتفاضة التبرؤ من القوم - وقد كان منهم وكان أخاهم - وانتفاضة الخوف من البقاء فيهم وقد اتخذوا غير طريق الله طريقا»[97]. فُصل بين العبارتين المتعاطفتين بالتذكير بصلته بهم " وقد كان منهم وكان أخاهم".

ومن أمثلة النّوع الثاني، نذكر:

« وسواء كانت المناسبة هي مناسبة تحويل القبلة -كما يدل سياق هذه الآيات وما بعدها- أم كانت مناسبة أخرى من تعديل بعض الأوامر والتشريعات والتكاليف، التي كانت تتابع نمو الجماعة المسلمة، وأحوالها المتطورة »[98]. فصل بين الجملتين المتعاطفتين بجملة تربط سابقتها بسياق الكلام قبل أن يحيل إلى سياقات أخرى بالجملة اللاحقة.

خاتمـــة:

إنّ القارئ لتفسير "في ظلال القرآن" لسيد قطب لا يجد عناءً في ملاحظة ما يتميّز به بناء أسلوبه من زيادة بين العناصر المتلازمة، والتي تظهر بين المطتين(– –)، خاصة في هذه المدونة المعتمدة في هذا البحث.

وتوظيف أسلوب الاعتراض يتفاوت في تفسيره من سورة إلى أخرى؛ فيكثر في بعض السّور، ويقلّ في أخرى، ويكاد ينعدم في بعضها.

ويتنوّع بناء الاعتراض؛ فنجده اعترض بالكلمة الواحدة، خلافا لما يقرّه جمهور النّحاة، واعترض بشبه الجملة، والجملة، واعترض أيضا بأكثر من جملة. فكان الاعتراض سريعا حينا، بكلمة أو كلمتين، ومتوسطا حينا؛ يستغرق شبه جملة أو جملة صغرى حينا، وقد يطول فيستغرق السّطر والسّطرين وأكثر أحيانا أخرى؛ فكلّما دعا المقام إلى وضع المتلقي في أجواء الفكرة، أو احتاج السّياق إلى توضيحات تسهّل على المتلقي إدراك الفكرة، وتخصيصها أو إزالة اللبس لجأ إلى الاعتراض بما يتوافق مع هذه الحاجة.

كما تنوّع موضع الاعتراض –عند سيد قطب– فاعترض بين العناصر المتلازمة وغير المتلازمة، فوقع الاعتراض بين عناصر المركب الإسنادي من مبتدأ وخبر، وفعل وفاعل، كما وقع بين المتعلقات كالفعل ومتعلقه، وبين الفعل ومفعوله، ومفعولي الفعل المتعدي إلى مفعولين، وبين الصفة والموصوف، كما وقع بين عناصر الجمل المستقلة.

إنّ القيمة التي يكسبها توظيف أسلوب بالاعتراض، تتمثل في إمتاع المتلقي بالتأليف بين ما لا يأتلف من خلال المفاجأة والمخالفة للمألوف، بالتحولات في نسق التعبير، مع المحافظة على مقومات البنية الدلالية. إضافة إلى ما يحمله من إيحاءات وإضافات تخصيصية أو توكيدية أو تفسيرية، ما كان المتلقي يستفيدها من البناء الأصلي من دون ذكر هذه الزيادة في آنها.

الهوامش والمراجـــع:

(1) – ابن منظور، لسان العرب: دار صادر، بيروت، لبنان. ط7، 2011م. مادة [عَرَض]، 100/10.

(2) – المرجع نفسه: مادة [عَرَض]، 100/10.

(3) – الفيروزآبادي، القاموس المحيط: تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان. ط8، 2005، مادة [عرض]، ص646.

(4) – أحمد بن فارس، الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها: المكتبة السلفية، القاهرة. 1910م. ص209.

(5) – ابن جني، الخصائص، تح/ عبد الحكيم بن محمد. المكتبة التوفيقية. (د.م)، (د.ت). ج1، ص289.

(6) – ينظر: ابن الأثير، المثل السائر: تعليق أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دار نهضة مصر، الفجالة، مصر. ط2، (د.ت). 42/3. وابن جني، الخصائص: 285/1.

(7) – من النحاة الذين تطرقوا للاعتراض، الصاحبي في فقه اللغة لابن فارس، الخصائص لابن جني، همع الهوامع للسيوطي...

(8) – ابن هشام، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان: 1991م. 446/2.

(9) – السيوطي، همع الهوامع في شرح الجوامع: تحقيق أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. ط1، 1998م. 253/2.

(10) – ابن جني، الخصائص: 286/1.

(11) – السيوطي، همع الهوامع: 254/2.

(12) – أبو هلال العسكري، الصناعتين (الكتابة والشعر): مطبعة محمود بك، الاستانة. 1319هـ. ط1، ص312.

(13) – الزركشي، البرهـــان في علوم القرآن: تحقيق أبو الفضل الدّمياطي، دار الحديث. 2006م. ص656.

(14) – ابن الأثير، المثل السائر: 40/3.

(*) – الزوائد الحرفية كـــ، أن، أنّ، ما، لا، من، الباء، ولا. والزوائد اللفظية كـــ، إذن، وكان..

(15) – ابن هشام الأنصاري، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: 447/2.

(16) – لم يتطرق إلى الاعتراض على أساس أنه باب مستقل، بل تطرق إليه على أنّه ضرب من ضروب الإطناب والتكرار والتتميم والتميل والتوشيع والإيغال..

(17) – القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة (المعاني والبيان والبديع): دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. (د.ت). ص209.

(18) – المرجع نفسه: ص209.

(19) – المرجع نفسه: ص209.

([20]) – المرجع نفسه: ص207–208.

([21]) – الزركشي، البرهـــان في علوم القرآن: ص657.

(22) – ابن المعتز، كتاب البديع: ص59. وينظر: العسكري، كتاب الصناعتين: ص312.

([23]) – الالتفات هو أولّ محاسن الكلام عند ابن المعتز، وعرفه بأنّه انصرافُ المتكلم عن المخاطبة إلى الإخبار، وعن الإخبار إلى المخاطبة، وما أشبه ذلك. ومن الالتفات الانصراف عن معنى يكون فيه إلى معنى آخر. ينظر: بدوي طبانة، معجم البلاغة العربية: دار المنارة، جدة، ودار الرفاعي، الرياض، ط3، 1988. ص614.

([24]) – رفع توهم يتولد من الكلام السابق رفعا شبيها بالاستثناء وهو معنى "لكن"... وسماه ابن المعتز الرجوع. ينظر: أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: 124/1.

([25]) – ومن البلاغيين من يسمي التتميم (التمام) ... وهو من ضروب (الإطناب) عند البلاغيين. وهو أن يؤتى في كلام لا يوهم خلاف المقصود بفضله مثل مفعول أو حال أو نحو ذلك مما ليس بجملة مستقلة ولا ركن كلام. ينظر: بدوي طبانة، معجم البلاغة العربية: ص111.

([26]) – هو التتميم .. والتمام اسمه القديم، وقال عنه الحاتمي ، " هو أن يذكر الشاعر معنى فلا يغادر شيئا يتمّ به ويتكامل الاشتقاق معه فيه إلاّ أتى به"، ينظر: أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: 147/2.

([27]) – هو الاطناب التكميل .. وقد عرّفه المدني، "التكميل عبارة عن أن يأتي التكلم بمعنى تام في فن من الفنون فيرى الاقتصار عليه ناقصا فيكمله بمعنى آخر في غير ذلك الفصل الذي أتى به أولا، كمن يمدح إنسانا بالحلم فيرى الاقتصار عليه بدون مدحه بالبأس ناقصا فيكمله بذكره". ينظر: أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: 340/2.

([28]) – هو الاعتراض عند بعض البلاغيين ، وهو كلّ كلام أدخل في غيره بحيث لو أسقط لم تختل فائدة الكلام. ينظر: بدوي طبانة، معجم البلاغة العربية: ص172.

([29]) – القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة: ص209.

([30]) – ابن الأثير، المثل السائر: 40/3.

([31]) – القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة: ص209.

([32]) – بدوي طبانة، معجم البلاغة العربية: ص617.

([33]) - Gérard Genette, Palimpsestes: la littérature au second degré, édition du seuil, paris, 1982. P11.

([34]) - Patrick Charaudeau et Dominique Maingueneau, Dictionnaire d'Analyse du Discours: édition du seuil, paris, V.1, 2002. P11.

([35]) – في ظلال القرآن: مج5، ج 19، ص2615.

([36]) – في ظلال القرآن: مج1، ج1، ص61.

([37]) – في ظلال القرآن: مج1، ج1، ص102.

([38]) – في ظلال القرآن: مج3، ج8، ص1261.
([39]) – في ظلال القرآن: مج3، ج8، ص1270.
([40]) – في ظلال القرآن: مج3، ج09، ص1341.
([41]) – في ظلال القرآن: مج3، ج09، ص1354.
([42]) – في ظلال القرآن: مج3، ج10، ص1540.
([43]) – في ظلال القرآن: مج3، ج10، ص1539.
([44]) – في ظلال القرآن: مج3، ج09، ص1339.
([45]) – في ظلال القرآن: مج2، ج06، ص878.
([46]) – في ظلال القرآن: مج3، ج8، ص1275.
([47]) – في ظلال القرآن: مج4، ج14، ص2143.
([48]) – في ظلال القرآن: مج6، ج29، ص3710.
([49]) – في ظلال القرآن: مج1، ج1، ص92.
([50]) – في ظلال القرآن: مج3، ج09، ص1378.
([51]) – في ظلال القرآن: مج4، ج 13، ص2029.
([52]) – في ظلال القرآن: مج3، ج8، ص1265.
([53]) – في ظلال القرآن: مج6، ج 27، ص3438.
([54]) – في ظلال القرآن: مج3، ج8، ص1316.
([55]) – في ظلال القرآن: مج5، ج 20، ص2704.
([56]) – في ظلال القرآن: مج3، ج09، ص1347.
([57]) – من مثل هذه الانتقادات للمجتمعات الإسلامية، استمدت جماعة الهجرة والتكفير أفكارها، وهناك من نسب هذه الجماعة لسيد قطب.
([58]) – في ظلال القرآن: مج4، ج 13، ص2036.
([59]) – في ظلال القرآن: مج1، ج1، ص78.
([60]) – في ظلال القرآن: مج4، ج 15، ص2208.
([61]) – في ظلال القرآن: مج4، ج 13، ص2092.
([62]) – في ظلال القرآن: مج5، ج 19، ص2615.
([63]) – في ظلال القرآن: مج2، ج7، ص1142.
([64]) – في ظلال القرآن: مج4، ج 12، ص1951.
([65]) – في ظلال القرآن: مج1، ج1، ص101.
([66]) – في ظلال القرآن: مج4، ج 13، ص2036.
([67]) – في ظلال القرآن: مج4، ج 13، ص2009.

([68]) – في ظلال القرآن: مج1، ج3، ص301.
([69]) – في ظلال القرآن: مج4، ج 13، ص2009.
([70]) – في ظلال القرآن: مج4، ج 13، ص2011.
([71]) – في ظلال القرآن: مج4، ج 13، ص2002.
([72]) – في ظلال القرآن: مج1، ج3، ص396.
([73]) – في ظلال القرآن: مج1، ج3، ص398.
([74]) – في ظلال القرآن: مج3، ج8، ص1269.
([75]) – في ظلال القرآن: مج3، ج8، ص1272.
([76]) – في ظلال القرآن: مج1، ج1، ص57.
([77]) – في ظلال القرآن: مج6، ج 29، ص3714.
([78]) – بعد سواء تأتي همزة التسوية، ويفصل بين الجملتين بـــ"أم". ينظر: عزيزة فوال بابتي، المعجم المفصل في النحو العربي: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. ط1، 1992م. ص231.
([79]) – في ظلال القرآن: مج1، ج1، 102.
([80]) – في ظلال القرآن: مج1–ج3– ص300.
([81]) – في ظلال القرآن: مج5، ج 19، ص2566.
([82]) – في ظلال القرآن: مج4، ج 13، ص2015.
([83]) – في ظلال القرآن: مج4، ج 12، ص1953.
([84]) – في ظلال القرآن: مج3، ج8، ص1263.
([85]) – في ظلال القرآن: مج4، ج 12، ص1950.
([86]) – في ظلال القرآن: مج2، ج06، ص876.
([87]) – في ظلال القرآن: مج6، ج 27، ص3432.
([88]) – في ظلال القرآن: مج1، ج1، ص80.
([89]) – في ظلال القرآن: مج3، ج09، ص1340.
([90]) – في ظلال القرآن: مج4، ج 13، ص2026.
([91]) – في ظلال القرآن: مج4، ج 13، ص2037.
([92]) – في ظلال القرآن: مج3، ج09، ص1353.
([93]) – في ظلال القرآن: مج5، ج 19، ص2602.
([94]) – في ظلال القرآن: مج3، ج09، ص1339.
([95]) – في ظلال القرآن: مج5، ج 19، ص2602.
([96]) – في ظلال القرآن: مج4، ج 14، ص2137.
([97]) – في ظلال القرآن: مج4، ج 12، ص1898.
([98]) – في ظلال القرآن: مج1، ج1، ص101.